

بسم الله الرحمن الرحيم
علاقة بلادنا العربية بالموسيقى الغربية

د. صالح المهدي

في تونس بدأت علاقتنا بالموسيقى الغربية في بداية القرن الثاني عشر الهجري، اواخر القرن السابع عشر ميلادي، على عهد الملك مراد باي الذي اعتنى بالفن وأهله ومارسه ابنه محمد ثم ابنه رمضان الذي كان يعزف على مختلف الآلات، وجلبت له أمه الإيطالية آلة "أرمونيوم" من أوروبا جبرا لخاطره حيث كان فاقد البصر وكان يرافقه مغنيان "مزهود" و"محمد بن عبد النبي"، ومن ذلك التاريخ دخلت هذه الآلة فرقنا الموسيقية واستعملت في أداء مقاماتنا التي أساءت إليها حيث كانت لا تؤدي إلا الأبعاد الكاملة وانصافها وكادت تطمس هويتنا الفنية لولا قيام شيخ الفنين أستاذنا خميس ترنان في الثلاثينات من القرن العشرين بإزالة هذه الآلة من

والمناسبة الثانية التي اتصلنا فيها بالموسيقى الغربية كانت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي مع تأسيس الملك الشير أحمد باشا للمدرسة العسكرية بمدينة باردوا والفرقة الموسيقية التابعة لها التي جلب لها آلات النفخ النحاسية وغيرها وأساتيد لها من فرنسا، وقامت هذه المدرسة بتدوين بعض البشارف والموشحات التونسية مع بيان قواعد عزف الآلات المجلوبة وذلك في مخطوطة محفوظة لدى المعهد الرشيدى بتونس الى الآن وبعد ذلك تأسست فرق أهلية للموسيقى النحاسية مثل "الحسينية" "الهلال" و "الاسلامية" و "الناصرية"

- شاركت جميعها في الاساءة الى أداء مقاماتنا الموسيقية العربية مثل (الراست - والبياتي - والصبأ- والسيكاه وما تفرع عنها).

وعند تأسيس وزارة الثقافة في بداية الستينات من القرن العشرين ملنا على اصلاح الوضع وذلك باجراء حلقات تدريب وتعليم في ملتقى سنوي أسميناه "أسبوع الفن" وتنظيم مسابقات بين الفرق في أداء ما تعلموه من قطع مختارة من التراث والحديث في مقامات خالية من أرباع البعد الموسيقي مثل (العجم عشيران-النهاوند -الكردى- النواثر - النكريز -الحجاز كار...)/، والى الآن ما تزال بعض افرق النحاسية في مختلف البلاد العربية مستمرة في الاساءة للمقامات ؟ وفي المغرب كزمت الفرقة الملكية النحاسية بتسميتها بـ "فرقة الخمسة والخمسين " عندما أنهت حفظها لجميع النوبات الأندلسية الأصل، وقد جاءت التسمية من ضرب عدد النوبات الاحدى عشرة التراثية في عدد الخمس إيقاعات التي تشتمل عليها كل نوبة في نفس الفترة دخلت آلة "الفيولين" الى بلداننا فأعطيت في المشرق إسم "الكمانشاه" الفارسية ثم حرف هذا الإسم ليصبح "كمانجه" وفي المغرب العربي اعطيت اسم آلة قديمة "الجيجانه " الذي حرّفه هو الآخر ليصبح "الجرانة" فقد تبنى هذه الآلة عازفو الرباب لأنها تعزف بجر القوس مثله أمثال المرحومين الأساتذة : أحمد دربال /شهر بطيخ في تونس - والحاج العربي بن صاري من الجزائر - ومحمد بن عبد السلام البريهي من المغرب - وابراهيم سهلون من مصر وغيرهم ... وجعلو وضعها على عند العزف على احدى الركبتيين مثل الرباب وهي باقية على هذا الوضع الى الآن في الفرق التقليدية في كل من الجزائر والمغرب رغم عدم تيسير تطور براعة عزفها عند هذا الوضع، وبعد ذلك دخلت آلة " الكلارينات " و"الأكرديون " و"السكسفون" وغيرها في فرقنا وسئ استعمالها في أداء التراث إلا في تركيا التي تطوعتها لأداء الصحيح أما في الإنتاج الحديث فقد حدد استعمالها في الجمل الموسيقية الخالية من أرباع الدرجات وهذا عنصر إيجابي .

وبعد أن دخلت فرنسا بلدنا بعنوان " الحامية" سنة 1881 م ، تكاثرت الجاليات الغربية من فرنسا وإيطاليا بالخصوص فأسسوا فرقا صغيرة لموسيقى الصالون وأخرى للعزف في

الأمسيات والسهرات بأشهر مقاهي العاصمة وصار أعيان البلاد يأمنونها ليقال انهم مواكبون للتطور .

وفي الثلاثينات من القرن العشرين أسست بلدية العاصمة فرقة سمفونية كان عناصرها وروادها من الأجانب الأوروبيين، وقد عملنا على تونستها بعد الاستقلال سنة 1969 وذلك بجلب أساتذة من أوربا يقومون بتدريس آلاتهم وبرعاية أبرز تلاميذهم للعزف بجانبهم في الأوركاستر، وجلبت قائدا من باريس تعاقدت معه للعمل لمدة عشر سنوات ووضعت له مساعدا من أبنائنا البارزين قام بدور الكمنجاتي الأول وعند انتهاء المدة سنة 1979 كان جاهزا لإستلام قيادة الأركاسترا وهو الأستاذ أحمد عاشور وجعلنا من شروط المشاركة في هذه الفرقة الاحراز على ديبلوم الموسيقى العربية بحيث ان افرادها يشاركون في فرق الموسيقى العربية التقليدية والعصرية بما فيهم قائدهم وقد انتجنا قطعا سمفونية لهذه الفرقة أدخلنا فيها الطابع العربي من حيث المقامات المناسبة والإيقاعات كما ألفنا لآلة "الهارب" قطعنا طوعنا فيها هذه الآلة لأداء مقام "السيكاه" وعزفت قطعنا السمفونية في مهرجاني "موسكو" و"لينين" فراد" بالاتحاد السوفياتي لهذه الصنف من الموسيقى وعلى أجيالنا الصاعدة ان تواصل المسيرة في الصراط المستقيم .

وفي ميدان التعليم ، لقد كان لدراسة بعض الموسيقيين العرب في الغرب نصيب الأكبر في الاساءة لهويتنا الفنية فقد عملوا على إدخال آلة البيانو " للمدارس الابتدائية والثانوية وكان من نتيجة ذلك تركيز تلحينهم للناشيد المدرسية على مقامي " الماجور" و"المينور" الغربيين واعتقادهم ان الأناشيد لا تكون إلا على هاذين المقامين وتسربت العدوى لمعاهدنا الموسيقية حيث اصبح بعضها يطبق مناهج الموسيقى الغربية في تعليم النظريات والعزف على الآلات وخاصة الكمنجه وأنواعها وأصبحنا نرى بالفرقة عشرات العازفين لهذه الآلة تكاد لا تجد فيها من يقدرعلى الارتجال في مقام "السيكاه" أو " الصبا " أول "رست الذيل" بطريقة صحيحة مطربة، ومن يبرز من عازفي هذه الآلة في معاهدنا يغادر بلده ويستقر بالخارج لضمان عيشه لأن الشعب في بلاده ما يزال والحمد لله عربيا في احساسه وذوقه، وقد تراهننت مع الزملاء في أنقرة على برنامج التعليم ووقفوا على نصائحي عندما اصطدموا بالنتيجة وأصلحوا الوضع بتأسيس معهد للموسيقى التركية باسطنبول سنة 1974، وحضرت مؤتمرا للمجلس الدولي للموسيقى في السبعينات من القرن العشرين بباريس، حضره أحمد إخواننا العرب البارز في وطنه وقال ان الموسيقى العربية يجب ان تبقى في تجويد القرآن الكريم ولا بد لنا أن نتبع الموسيقى

الكلاسيكية الغربية فقول بالتصغير الغضب لأنه فاته ان المجلس الدولي أسس دورة لإنتاج الموسيقى الحديثة التي تخلت عن أصولها الكلاسيكية كما أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نظمت سلسلة ندوات لبعث خطة شاملة للثقافة العربية شاركنا في التي تتعلق بالموسيقى سنة 1983 بالكويت وإذا أحد الزملاء مدير معهد باحدى العواصم العربية العريقة يتقدم بإقتراح التركيز على الموسيقى الغربية الكلاسيكية محبذا بذلك استمرار الشعب العربي على استعمال ما يتركه الغرب فيقول في آخر بحثه ما يلي :

" أما المستويات التي تتعلق بالموسيقى الانسانية الكبيرة التي يشار اليها خطأ بالموسيقى الكلاسيكية فيجب مراعاة المستويات العالمية ومحاولة الاقتراب منها قدر المستطاع على الرغم من الصعوبات الكبيرة التي ستعترض الذي من بيئة عربية والذين غالبا ما ينقصهم الجدل والعناد والدأب في التغلب على الصعوبات التقنية ... " (المجلد الثالث / القسم الثاني /ص562 من موسوعة هذا البحث)، وقد وصل بنا التخطيط للاندماج في التقاليد الغربية الى احداث اقسام للغناء على الطرق الغربية انتجت لها مغنيات تؤدنا الموسيقى العربية بصوت " السوبرانو" ل نرمي بتقاليدنا العريقة التي بقيت حية متداولة عبر الأجيال منذ عهد جميلة وعزة الميلاء وإبراهيم موصللي وزرياب في فجر الحضارة الاسلامية وندخل في ثقافة الغير بطواعية وفخر ...؟ قال المتنبى :

وذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخ الجهالة في الشقاوة بنعم
وكان من نتيجة ذلك أن أصبح لنا عوادون لا يقدرّون على الغناء مع العزف وعازفو
كامنجه كأنهم خواجهات وعازفو ناي يغيرون نايهم عديد المرات في القطعة الواحدة، وعازفو قانون
أضاعو إمكانية محاسبة المغني البارع في تصرفه ومغنون قد أضاعو تطبيق الأوزان على
الموشحات إذا كانوا يحفظونها ؟ والجميع أضاعو طاقة الارتجال القفلات المنوعة المطربة
وكثيرون منهم يقلدون إرتجال الشيوخ أو يلحن لهم ارتجال ثم يحفظونه ليعيدون في كل مناسبة
وهذا هو عين الضعف والجهل لأن الارتجال هو التأليف أو التلحين الفوري الذي يتحاور به
الفنان مع سامعية الذي يعبورن عن سعادتهم بسماع القفلات المنوعة المطربة الممتازة بذكر إسم

الجلالة خوفا على المؤدي من العين الشريرة وإكبارا لجمال صوته وحسن أدائه وذلك هو معدن السعادة.

كيف نخرج من هذه الأزمة الفنية ونعود الى أصالتنا وراعتنا ونشع فنيا في الخارج. لقد شاركت في تأسيس معهد دولي للموسيقى الغير أوربية بمدينة البندقية في نطاق المجلس الدولي للموسيقى ودرّست به ست سنوات مدة أسبوعين كل سنة وتحصلت من الحكومة التونسية على هدية عدة آلات عربية لهذا المعهد وكان الطلبة من مختلف الأقطار الأوروبية تعلموا مقاماتنا وعزفوا على آلات موسيقنا وفيهم من شكّل فرقة للموسيقى العربية في مدينة "غرونوبل" بفرنسا ومنهم من فتح معهدا للموسيقى والرقص العربيين بمدينة "بارن" السويسرية، وتأسست بمدينة "كريمونا" الإيطالية ورشة لصنع الأعود العربية اعتمدت في صنع قصعتها على معجون البلور، وطلب مني عميد ناشري الموسيقى بباريس Le Duc تأليف كتاب عن الموسيقى العربية بالفرنسية للأستاذة والباحثين وأتممت ذلك في السبعينات وترجم هذا الكتاب لليابانية وكان من نتائجه بروز فرقة يابانية قدمت موسيقنا وأغانينا هنا بالقااهرة في مهرجان السنة الماضية 2002، وأذيع عملها بإذاعة "البي.بي.سي" في لندن، كما ألقت له كتابا لأغاني الشعبية العربية صغته ليعزف بألة الفلوت أباك " جعلت مقدمته بالفرنسية والانجليزية والألمانية قلت فيها " لقد فرضت أوروبا علينا أغانيها عند استعمارها لبلدانها، والآن اذا كانت جادة في التقارب معنا لنتعاون على السلم وتعويد شبابنا على الاحترام والمحبة المتبادلين فلنطبق هذه الأغاني في مدارسها الثانوية وقد طبقت فعلا والحمد لله .

لقد زال مركب الاستعلاء من الأجانب وعلينا بإزالة مركب النقص من أنفسنا باعتماد ما يلي ببرامج التعليم بالمدارس الثانوية والمعاهد والكليات الموسيقية وكذلك في التنشيط الثقافي .

أ- في التعليم العام : 1/ المرحلة الابتدائية نلقن فيها أناشيد تتطور عبر سنوات الدراسة تتناول مواضيع المثل الاخلاقية والتعلق بالوطن والعروبة وتعكس جمال بلداننا وتحت على الدفاع عنها وعلى التآخي بين البشر واحترام حقوق المجموعة ، تكون ملحنة على مقامات وإيقاعات عربية مبسطة، ونعمل على احداث مجموعة صوتية بكل مدرسة نرافقها بألة العود ونجري بينها مسابقات لنكرم الممتازة منها على الصعيدين القطري والقومي .

2- في التعليم الاعدادي والثانوي : نلقن مبادئ الترفيم " صولفاج"

وتاريخ الموسيقى العربية والغربية والمقامات والايقاعات وتدريب على

قراءة نماذج من معزوفاتنا التقليدية قراءة غنائية ونكون بكل مدرسة مجموعة صوتية وفرقة موسيقية يقع اختيار أفرادهما من العناصر الممتازة التي يبرز تفوقها في الفصل، يتدربان على قطع موسيقية وغنائية من التراث وعلى أشهر القطع المحلية الحديثة وعلى ما ينتجه الاستاذ والممتازون من الطلبة وذلك مساء يوم من أيام الأسبوع على غرار ما يجري في تونس من 1958 وتشارك هذه الفرق في مسابقات محلية ووطنية وقومية، ويسعدني ان اقدم ثلاثة أجزاء من كتابي "أصول الموسيقى" الذي أعدته لهذا التعليم وطبقناه في تونس مدة ثلاثين عاما وكان من نتيجة ذلك احداث شهادة باكالوريا ذات اختصاص موسيقي يمكن الناجحون فيها من الالتحاق بالمعاهد العليا للموسيقى أو الاستمرار في فرق النشاط الموسيقي بمختلف كليات التعليم العالي .

ب- في معاهد الاختصاص وتشمل على شعب التربية الموسيقة وتقنيات العزف والغناء والتأليف الموسيقي و البحث والنقد الموسيقيين يكون هذا التعليم ذا مرحلتين، تجمع المرحلة الأولى كل الشعب بعدما يقضي الطالب خمس سنوات في التعليم الاعدادي الفني، ثم تختص كل شعبة ببرنامجها الخاص .

1- المرحلة الأولى : يواصل الطالب دراسة الترقيم الموسيقي نظريا وتطبيقيا قراءة زمانية على مختلف المفاتيح تباعا، وقراءة غنائية على مختلف المقامات لنصوص من التراث العربي العام من المعزوفات والموشحات وغيرها كما نواصل الاملاء الموسيقي على مختلف المقامات والايقاعات ودراسة المقامات والايقاعات دراسة تحليلية للشواهد من التراث مع النسج على منوالها في تدريبات على الانتاج ونواصل ايضا دراسة العروض الشعري ونعمل على تطبيقه في إنتاج ونواصل ايضا دراسة العروض الشعري ونعمل على تطبيقية في إنتاج حديث ودراسة تطبيقية وتحليلية لتوافق الاصوات وفروعه في الموسيقى الغربية ودراسة مختلف الانماط الموسيقية والغنائية في التراث العربي والغربي ودراسة تطبيقية لتصوير المقامات على مختلف الدرجات وانصافها مع تحليل سماع الاصبعين (الحجاز) التونسي الذي يعزف على الاثنتي عشرة نصف درجة من السلم، ويوزع الطلبة لدرس مختلف أصناف الآلات على حده في اداء قطع تتدرج في الصعوبة ثم يجمع كل العازفين في فرقة تؤدي ما تدرب عليه الطلبة في دروس آلتهم الخاصة وتقوم هذه الفرقة بتطبيق ما ينتجه الطلبة من قطع

موسيقية وغنائية على الانماط التقليدية والمتطورة بتوجيه من أساتذتهم .

ج - المرحلة الثانية : في هذه المرحلة يوزع الطلبة حسب الاختصاص المذكور

1- مجموعة التربية الموسيقية يلقنون العزف على آلة العود ويطبّقون عليها قطعاً تراثية مع مجموعة أناشيد في المقامات والإيقاعات العربية كما يلقنون علوم التربية وعلم النفس ويحضرون دروساً تطبيقية ويطالبون بتلحين ثلاثة أناشيد كما يقع تعريفهم بأهم المدارس التي تناولت التربية الموسيقية مع مواصلة دراسة الترقيم نظرياً وتطبيقياً وتصوير المقامات ودراسة العروض وتوجيه الطلبة للابتكار في مجالات المقامات والإيقاعات والانماط الموسيقية وممارسة العزف ضمن فرقة المعهد .

2- مجموعة الممارسة في العزف والغناء والانتاج، تواصل هذه المجموعة دراسة

المقامات والإيقاعات والانماط الموسيقية والغنائية دراسة تطبيقية ويدربون على الانتاج عليها ويوجهون للابتكار وتصوير المقامات ويلقنون دروساً في الغناء العربي مع استمرار مشاركتهم في المجموعة الصوتية والفرقة الموسيقية في اداء قطع تراثية على جميع المقامات مع تطبيق إيقاعاتها عليها كما يواصل العازفون تدريباتهم على البراعة الفائقة والجمل الصوتية العربية والقفلات المطربة والارتجال .

3- مجموعة البحث العلمي والنقد الفني يلقن طلبة هذه المجموعة مناهج البحث ويوجهون

لتطبيقها في بحث ميداني لجمع التراث الموسيقي الشعبي وتسجيله وتدوينه وتحليله كما يوجهون لتسجيل حلقات عمومية أو إذاعية ثم نقدها نقداً بناءً، كما يلقنون وسائل خزن التسجيلات والوثائق المتعلقة بما يقع جمعه من التراث ووسائل حفظه وتسهيل الاطلاع عليه وسماعه من طرف الراغبين من المواطنين والأجانب ونوفر في هذا المجال خزينة وطنية للمسجلات تتبادل مع مثيلتها في مختلف البلدان وتصدر مجلة دورية وتنظم محاضرات وندوات يشارك فيها باحثون وطنيون وأجانب .

ونعمل على تطبيق توصية كنا اتخذناها في مؤتمر التربية الموسيقية بطهران سنة 1975

تقضي بأن لا يرسل لدراسة الموسيقى بالخارج إلا من استكملوا دراسة موسيقاهم الوطنية وذلك حفظاً لهم من الاندماج في ثقافة الغير على حساب هويتهم الفنية

د- في وسائل الاعلام

1- في الإذاعة والتلفزيون : نجلع مواعيد أسبوعية نقدم فيها فرقاً للموسيقى العربية التقليدية

(معزوفات وموشحات ونوبات وقدود ومقام...)

- 2- نجعل مواعيد يومية نبث فيها تقاسيم مرتجلة لأمر عازفينا
- 3- نجعل حصة اسبوعية نقدم فيها الانتاج العربي الجديد ونبرز ما اشتمل عليه من اصالة وطرافة .
- 4- ونتوجه لإتحاد الإذاعات العربية لجعل كل إذاعة عربية تركز على برامجها الوطنية تبث مدة نصف ساعة أسبوعيا حصة لتراث وإنتاج كل قطر عربي آخر .
- 5- في الصحافة : نعمل على إبراز باب أسبوعي للحديث عن الإنتاج الحديث ونقده نقدا بناءا ونتحدث في ذلك عن نشاط فرقنا وحركات جمعها للتراث .
- أما التنشيط الفني بدور الثقافة ودور الشباب فنجعل لهم حلقات تدريب على مختلف آلات الموسيقى العربية ونلقنهم الغناء الجماعي والفردى ونشكل منهم فرقا تقدم عروضاً اسبوعية للمواطنين تجمع بين القطع التراثية والحديثة والأناشيد الوطنية والشبابية .
- هذه حصيلة ما توصلنا إليه من الاتصال بشيوخ الفن من عدة اقطار عربية وغيرها ومن تجارب مارسناها مدة سنتين عاما تخرج بها العديد من أبنائنا الذي نعتز بهم في تألقهم وقايمهم بالدور الرائد لخدمة الموسيقى العربية .
- ولله نسال أن يحفظ بلداننا وثقافتنا وشعوبنا من السيل الجارف الذي يتسلط علينا عبر وسائل الاعلام ليفسد هويتنا ويطمس فننا حتى يعوضه بالتهريج والصخب والفن الخالي من المعاني والتطريب والذوق لا قدر الله
- والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم
المجمع العربي للموسيقى

لقد كان المؤتمر الأول للموسيقى العربية الذي انعقد بالقاهرة يوم 14 مارس سنة 1932 لمدة ثلاثة أسابيع بأمر ملكي مؤرخ في 20 جانفي 1932 هذا المؤتمر الذي تفرع الى خمس لجان عربية وخمس لجان أجنبية أصدرت جميعا مجموعة قرارات تناولت المسائل العامة والمقامات والتأليف الموسيقي ومشاكل السلم الموسيقي والآلات الموسيقية وجمع وتحقيق ونشر المخطوطات العربية وغيرها المتعلقة بالموسيقى العربية، حضرته وفود و فرق من كل من سوريا والعراق والجزائر والمغرب وتونس مع الوفد المصري ومنعت إيطاليا إخواننا اللبيين بقرارها الإستعماري وعينت اللجان بالمقامات والإيقاعات والتأليف المستعملة في مصر مع مقارنتها بالتى لبقية الأقطار العربية وبحثت إمكانية بعث طريقة لتدوين الموسيقى ومحاولة إيجاد أنواع جديدة من الشعر والغناء العربيين دراسة الأبعاد الموجودة بين مختلف درجات سلالم مقامات الموسيقى العربية مع إحصاء آلات الموسيقى العربية وإمكانية تطويرها والموقف من إدخال آلات الموسيقى الغربية في الفرق العربية إعداد معلمين ذوي كفاءات موسيقية عربية وغيرها وإحصاء المخطوطات المتعلقة بالموسيقى العربية وكذلك إعادة مؤلفات لجميع الموضوعات السابقة مع تاريخ الموسيقى العربية سواء منها القديم أو التي لكل قطر عربي مدة القرنين الماضيين، بعث مؤسسات لكل قطر عرب تعمل على جمع التراث الموسيقي العربي والمحافظة عليه ونشره وتعليمه للأجيال الصاعدة والاستحاء منه في المؤلفات الجديدة حتى يستمر حيا عبر الأجيال .

وأنجز المؤتمر تسجيلا هاما لقطع تراثية من مختلف الأقطار العربية 31 إسطوانة للفرقة العراقية وإسطوانة واحدة لعازف قانون من سوريا و 23 إسطوانة للفرقة التونسية، و 14 للفرقة الجزائرية و 125 إسطوانة للفرقة المغربية ، 141 إسطوانة لشيخ الفنانين المصريين المرحوم درويش الحريري، و 13 إسطوانة للتراث الشعبي المصري وإسطوانتين لفرق العوالم المصرية ، و 3 لعرب الفيوم من مصر، و 15 إسطوانة للذكر الليثي و 9 إسطوانات لغناء الكنيسة القبطية مع إسطوانات لمناذج من الإيقاعات والمقامات والتفاسيم المرتجلة من أبرز شيوخ المؤتمر .

وقدم الباورن ديرلينجي قواعد حوالي 80 مقام ومائة من الإيقاعات، وقدم الوفد المصري 20 إيقاعا مع أجزاء أمثلة غنائية مما تنطبق عليها كما قدم تحليل 53 مقاما وقدم الأستاذ علي درويش من سوريا 36 مقام مطبقة على مجموعة من القطع الموسيقية والغنائية العربية والتركية من المستعملة في البلاد العربية كما دونت اللجنة بعض الإيقاعات من تونس والجزائر والمغرب ودونت جميع أعمال المؤتمر في كتاب فخم نشر في السنة الموالية لإنعقاد المؤتمر ضمن جميع التقارير والمحاضرات والبحوث كما ضم مجموعة من الصور للمغنين والموسيقيين والفرق التي شاركت في المؤتمر ويعتبر هذا الكتب وثيقة تاريخية نادرة بسبب حرق عدد كبير من نسخها التي كانت محفوظة في وزارة المعارف المصرية ذنبا أنها اشتملت على صورة الملك فؤاد والثورة لا تقبل هذا ليتهم أزالوا الصفحة التي لها الصورة حتى لا يحرّموا الأجيال المعاقبة بعده من تراث تاريخهم وفنهم .

تأسيس المجمع العرب للموسيقى :

هذا هو العنوان الأخير إذ كان مجمع الموسيقى العربية وقد تغير العنوان حتى يمكن للمجمع خدمة الموسيقى العربية وغيرها مما هو مستعمل في البلاد العربية لأن العديد من أقطارنا بها مواطنون غيرعرب إنطلقت فكرة تأسيس المجمع من الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي استعان بمدير الشؤون الاجتماعية بالجامعة الاستاذ محمد العشماوي وهذا الأخير توفيق إلى الطريق القويم باستدعائه للأمين العام للمؤتمر الأول للموسيقى العربية الدكتور محمود أحمد الفني الذي نصح بجس نبص الأقطار العربية لمعرفة مدى غنايتها بالموسيقى العربية والتحمس لها وقد كلف الدكتور الحفني بهذه المهمة على أحسن وجه وقام بزيارة مختلف الأقطار العربية وقدم عنها تقرير اضافيا للأستاذ العشماوي وبعد التشاور مع سيادة الأمين العام تقرير عقد ندوة يشارك فيها عدد من الفنانين والمسؤولين في أقطارهم عن الموسيقى العربية .

وقد قدّم الدكتور الفني تقرير عما شاهده في الأقطار العربية من سلبيات التي منها إشتهار أغاني بعيدة عن الاخلاق مثل الأغنية التي سجلتها المطربة المصرية رتيبة أحمد

بأحكيكم على حصلي في ليلة الدخلة وشهر العسل " وما سجلته المطربة التونسية شافية رشدي " هز حزامك طاح تخبل ، ضيع دليل والعقل هبل " التي تصل فيها الى الفراش... وما سجلته التونسية فتحية خيرى " حبيب الأول والله ما ننساه لا نحول ، حبيب الثاني والله ما ننساه طول زمانى هكذا تصل الى حبيبها العشر وهي بذلك تحرض على الفساد مع كثرة الرواد ومن السلبيات التي تسيء للهوية العربية إشتهار أغان لغتها ممزوجة بين العربية والفرنسية مثل ما لحنه الأستاذ فريد غصن عند مقامه بتونس في الثلاثينات (Medemoiselle ou vous étiez) كل يوم أسئل عليك وما لحنه الاستاذ الهادي الجويني من تأليف الشيخ جلال الدين النقاش Chéri حبيبتك وأنا ما اليوم إلي ريتك في وسط قلبي حطيتك وبين الدكتور الحفني رحمه الله كيف أن الأمية في الموسيقى والقراءة والكتابة أصبحت متفشية عند أغلب الفنانين الذين يتسهل بعضهم في العزف والغناء بمجالس الخمر والزنا وفي ذلك يقول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ومن السلبيات إدخال آلات البيانو وبعض آلات النفخ التي لا تؤدي إلا درجات السلم وأنصافها في فرق الموسيقى العربية فأثر ذلك في سوء أداء مقاماتنا الأصلية التي تعتمد ربع الدرة (المتغير) مثل السيكة والبياتي والصبا.

ومن الإيجابيات ما لاحظته من قيام بعض الشيوخ بتلقيح الموشحات والنوبات والأغاني التراثية للشبان في بعض أضرحة الأولياء الصالحين أو في بيوتهم ونوادهم من أمثال الشيخ درويش الحريري وعلي محمود بمصر وعمر البطش وعلي درويش بالشام وحسن الكعامي ومحمد بوريانة والمختار شاعر المرابط بليبيا وأحمد الوافي وخميس الترنا وعبد الرحمان مهدي وعبد العزيز جميع بتونس والحاج العربي بن نصاري ومحمد فخارجي

وحسونة الخوجة بالجزائر والشيخ الريهي والحاج دريس بن جلون وأحمد الوكيل وعيد لكريم الرايس بالمغرب .

دعت جامعة الدول العربية بعض الفنانين البارزين لعقد الندوة بمقر الجامعة ترئسها الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية المرحوم الأستاذ أسعد الأسعد وبهذه المناسبة أقامت الجامعة حفل استقبال على شرف الوفود حضارها أمير الكمان الأستاذ سامي اشوا والأستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب ومطربة الشرق السيد أم كلثوم وفي هذا الحفل أخذ كل من الأخيرين يطري الآخر في مجهوده القيم لإنجاز أول أغنية يشتركان فيها (أنت عمري) وعندها مسكني الأستاذ سامي الشوا وقال لي بصوت جهوري (بيكذب على بعض) فلم يجبه أحد اعتبارا لسنه ولشله وقد كان من أبرز اضاء اللجنة د. محمود أحمد الفني ود صالح المهدي من تونس والاسناذ أحمد سري من الجزائر والاسناذ أحمد باقر من الكويت والأستاذ كامل القدسي من سورية.

ونظمت بعد ذلك مؤتمرات منها أولا مؤتمر بغداد سنة 1964 الذي درسنا فيه مشروع القانون الأساسي وإجراءات التأسيس وقد حمى النقاش في هذا المؤتمر لأن مندوب العراق الاستاذ زكريا يوسف تمسك بضرورة تأسيس مجمع لكل قطر قرب حتى يضمن لنفسه منصب أمانته وهو على أبواب التقاعد واستطاع الأستاذ زكرياء أن يجلب معه الوفد السوري لما للبلدين من علاقة حميمة آنذاك .

كيف العمل وقد كلفت مع الدكتور محمود الحفني بأخذ موافقة جميع الوفود على تأسيس مجمع واحد تابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وقد مكنتنا الظروف من ذلك حيث تركب الوفد السوري من ثلاثة شيوخ الأستاذ ميخائيل الله وردي الذي أنتصب على الركب في جلسة الإفتتاح والأستاذ فؤد راجائي الذي شارك في جميع الجلسات والأستاذ مجدي العقيلي فأغتنمنا ميله للرئاسة فرضنا عليه الوثيقة وقلنا له ألسنت انت رئيس الوفد فقبل وقع ، في الجلسة الموالية قلت من الغربي أن مستضيفة المؤتمر تنشذ عن الجماعة ويمتتع مندوبها من التوقيع على الوثيقة فأجاب الأستاذ زكرياء يوسف قائلا إن الوفد السوري معنا عندها جابته بتوقيع من الأستاذ مجدي العقيد فبهت الذي كفر .

وفي اليوم الموالي استقبلنا السيد وزير الثقافة العراقي فأغتنم أحمد الزملاء هذه الفرصة وعرض على السيد الوزير شراء كتبه وتوزيعها على أعضاء المؤتمر عندها ألتفت إليّ الدكتور محمود

الحفني قائلا صاحبنا بغني على مقام الإصبهان مشيرا بذلك إلى بحث الأستاذ الحاج إدريس بن جلون الذي قال فيه أن المتسولين في المغرب يغنون على مقام الإصبهان.
وأجمع المؤتمر على المشروع المقدم من إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل بجامعة الدور العربية بشأن تكوين مجمع عربي للموسيقى وإيماننا من المؤتمر بالضرورة الملحة التي تقتضي المبادرة بإقامة هذا المجمع ليضطلع بمسؤوليته بالحفاظ على تراث الموسيقى العربية وتطويرها والنهوض بها ويوصى بالمؤتمر مجلس جامعة الدول العربية بالموافقة على الخطوط التالية تمهيدا لإقامة هذا المجمع :

1- تشكيل لجنة تحضيرية تضم طائفة من المتخصصين البارزين في شؤون الموسيقى العربية على أن تدعى إليها جميع الدول العربية، وتتولى إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل بجامعة الدول العربية لعقد هذه اللجنة والاعداد لها وتنظيم اجتماعاتها .

2- يعرض على هذه اللجنة في أول اجتماع لها مشروع لائحة المجمع المقترح من جامعة الدول العربية لدراسته وإبداء الرأي في شأنه، على ان يأخذ هذا المشروع طريقه الطبيعي بعد ذلك لإستكمال بحثه وإقراره في نطاق مجلس جامعة الدول العربية وعلى الا تكون القرارات التي تتخذ بشأن النواحي الفنية للمشروع قرارات نهائية إلا بعد استكمال دراستها الفنية في نطاق المجمع وهيئاته المتخصصة

3- تتحول هذه اللجنة التحضيرية بأكملها أو بطائفة من أعضائها اللجنة إلى هيئة متابعة مهامتها .

مهامتها :

1- اقتراح مكان المجمع وتحديد أهدافه ومهامه تفصيلا

2- ترسخ أول رئيس للمجمع .

3- إعداد قوائم بموظفي مكتب المجمع لتعرض على رئيسه بعد إقرار تعيينه .

4- متابعة تنفيذ قرار مجلس الجامعة بشأن إقامة المجمع وتولى إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل بجامعة الدول العربية أمانة هذه الهيئة، وتقدم لها التسهيلات والإمكانات التي تستطيع بهما أن تفرغ من مهامها في أقرب وقت ممكن ويوصى المؤتمر وفود الدول المشتركة فيه ببذل مساعيها لدى حكوماتها لتأييد هذه التوصية والعمل على وضعها موضع التنفيذ .
وبمقتضى قرار صادر عن جامعة الدول العربية في دورته الثالثة والخمسين في شهر مارس آذار 1970 انعقد مؤتمر حضره مندوبو جامعة الدول العربية في مدينة طرابلس تقرير فيها انتخاب الأستاذ د.محمد أحمد الفني رئيسا فخريا مدى الحياة وعضو المجلس التنفيذي للمجمع.

تشكيل المكتب التنفيذي للمجمع كما يلي :

أ د محمود الحفني رئيسا فخريا من مصر

أ.د صالح المهدي رئيسا من تونس

أ. الماحي إسماعيل نئبالرئيس (السودان)

أ. سمحة الخولي أمينا عاما للمجمع (مصر)

أ.أحمد باقر رئيس لجنة الفنون الشعبية (الكويت)

أ الأمين بالشيخي رئيسا للجنة التربية الموسيقية (الجزائر)

أ سلمان شكر رئيس لجنة الموسيقى التقليدية (العراق)

الأب يوسف الخوري رئيسا للجنة الانتاج الموسيقي (لبنان)

أ الاستاذ الحاج ادريس بن جلون رئيسا للجنة الدراسات التاريخية (المغرب)

وأصدر المؤتمر توصية بشأن التراث الفلسطيني ما يلي نصه :

1- يؤكد المؤتمر على مراعاة الظروف العربية المصرية التي يمر بها الوطن العربي أن

من واجبه حماية التراث ورعاية الإنتاج الموسيقي العربية الذي يهدف الى خدمة التنمية العربية

الأولى مترجما ما يجيش بصر كل عربي تعبيراً صادقا وأعيا يناسب

المرحلة التاريخية التي يحياها الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصة حتى يتم التحرير والنصر

2- يوصي المؤتمر بأن تتعاون الدول العربية فيما بينها على جمع التراث الموسيقي

الشعبي والتقليدي لشعب فليس مع العناية بحفظه ونشره وإبرازه في الوطن العربي وخارجه .

3- يوصي المؤتمر بأن يقوم ممثلوا الدول العربية فالمؤتمر العام المنظمة الأمم المتحدة

للتربية والعلوم (اليونسكو) بشجب محاولات إسرائيل القضاء على التراث الفني والموسيقي

الأصيل لشعب فلسطين .

4- يوصي المؤتمر بأن تتولى الأنسة وجيهة عبد الحق ممثلة الجمهورية العربية السورية

الإشراف على جمع التراث الموسيقي الشعبي الفلسطيني والعمل على نشره

وفي سنة 1973 انعقد المؤتمر الثاني للمجمع الذي تقدمت في بطلي إحداث جائزة تتمثل في

إعطاء من تتوفر في الشروط الفنية والعلمية لقب الموسيقار العربي واقتُرحت ان تعطى الجائزة

أولى مرة إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب فوافق الجميع على ذلك الى مندوبة مصر د سمي

الخولي وتم فعلا ذلك التكريم وزرت الأستاذ محمد عبد الوهاب في بيته وأعلمته لهذا القرار فكان

ممنون بذلك ولب مني إبلاغ جزيل شكره إلى أعضاء المجمع .

في هذا المؤتمر الذي أنعقد بالجزائر طلب منا الاخ الزميل معالي الأستاذ الأمين

بالشيشي عقد ندوة بالتلفزيون يقدم فيها رؤساء الوفود تطالعتهم واقتراحاتهم ولما عرضت

الموضوع على أعضاء المجلس التنفيذي قال لي رئيس الوفد العراقي أن وفده متركبا من

مجموعيتين مجموعة تابعة لوزارة الثقافة ومجموع تابعة لوزارة المعارف ورجاني ان يكون للوفد

شخصان عوض شخص واحد على أن يقدم الأول طريقة تطور المجمع وإنجازاته والعنصر

الثاني ممثل وزارة التربية الأستاذ بابو خيام اقتُرحت ان يتكلم عن وفات الدكتور محمود الحفني

وكتبت له وثيقة في الأمر ينعى فيها د الحفني ويقدم التعازي من ميع أعضاء المجلس التنفيذي

فمكان من الأستاذ بابو خيام إلا أن أخذ وثيقة أخرى مكتوبة وتفضل بتقديم تفاصيل الأقسام

الموجودة بمعهد الفنون الجميلة يظهر أنه حفظ سورته التي ألقاها من قبل المؤتمر بمدة حيث

أنطلق يتكلم بسهولة ونطق جيد ولم يبق سوى عقد مؤتمر تأسيسي لتأسيس

المجمع وفي سنة 1969 انعقد مؤتمر بمدينة فاس بالمغرب من 8 إلى 18 أبريل ونظرا في التوصيات السابقة ودعم منها بالخصوص أولاها المتعلقة بإحداث مجمع عربي للموسيقى وقد تدعم هذا الموقف بتفصل مصر بإقامة مؤتمر في نفس السنة، وما كان من هذا المؤتمر إلا أن دعم ما تبناه المغرب في مؤتمره .

ونظم المجمع مسابقة في التأليف الموسيقي على الأنماط التقليدية تم الإستماع إلى تسجيل المترشحين المشاركين في القاهرة وفاز فيها الاستاذ عبد الغني شعبان من لبنان بالجائزة الأولى وكانت قطعته سماعي بياتي في تطوير غير مسبوق .

وفي سنة 1973 انعقد المؤتمر الثاني للمجمع بمدينة الجزائر وقد تقدمت فيه باقتراح إعطاء لقب الموسيقار العربي كل سنة إلى أبرز فنان عربي واقترحت أن يسند أول لقب إلى الاستاذ محمد بعبد الوهاب فوافقتي جميع الوفد إلا ممثلة مصر الدكتورى سمحة الخولي ومن أطرف ما وقع في هذا المؤتمر هو أن صديقنا معالي الأستاذ الأمين البشيشي اقترح ان نقيم ندوة فنية في التلغزة واتفقنا على أن كل وفد يقدم ما انجزه وتقدم إلى الاستاذ علي عبد الرزاق رئيس الوفد العراقي طالبا بأن يمثل العراق شخصان في هذه الندوة لأن الوفد مشترك بين وزارتي الثقافة والتربية وبما أن الشخص الثاني هو الأستاذ بابوخيان اقترحت علي هذا الأخير أن يكون تدخله متعلقا بنعي الاستاذ الكبير الدكتور محمد أحمد الحفني الرئيس الفخري للمجمع حتى لا يتكرر القول في جلسة واحدة ومما وقع هو أن كل ممثل تقدم بها طرحناه له إلا الاستاذ بابوخيان يظنهر أنه حافظ من بغداد لما سيقوله فنقدم بالعرف بالمعهد الذي يعمل له " فنون جميلة " وتفصيل أقسامه والحال أني عندما طلبت منه أن يتقدم قلت أنه سينعى الدكتور الحفني رحم الله .

وفي سنة 1974 أجرى المجمع مسابقة لإنتاج أناشيد الأطفال والمراهقين ونسجها على مقامات عربية تم الإستماع الى تساجيلها في بيروت وفاز فيها الاستاذان زكي نصيف من لبنان وعمر الغنجاتي من تونس .

ونظرا لبداية تقلص المقدرة على الإرتجال الغنائي الذي يعتبر من أبرز مظهر للموسيقى العربية.

وفي آخر ذلك العام نظم المجمع مسابقة في الإرتجال في العزف على الآلات وقع الإستماع الى تساجيلها ببغداد وفاز فيها عازف القانون الأستاذ حسن الغري وعازف العود الأستاذ أحمد القلعي ولكلاهما ومن تونس وما جرى في هذه المسابقة قيام أحننا الأستاذ منير بشير بإقتحام تسجيل له ضمن تسجيلات المترشحين ضانا أن ذلك مقلب للجنة التحكيم فأرجعت له الكرة حيث قلت له كيف تقبلون ترشيح هذا الارتجال البعيد عن مستوى المسابقة عندها تراجع عن مقبله وسحب مشاركته وفي صيف تلك السنة نظم المجمع مسابقة في الارتجال الغنائي بين الشبان العربي وذلك في مدينة تستور التونسية أندلسية الأصل التي تضم عددا كبيرا من اللاجئين من غرناطة عند احتلال الإسبان لها وذلك في نطاق مهرجائها الدولي السنوي للموسيقى التقليدية .

وفي سنة 1975 قررنا إقامة ذكر المرحومة مطربة الشرق السيد أم كلثوم بتنظيم مسابقة عربية بين الفتيات الهاويات في أداء إحدى أغاني السيدة أم كلثوم مع قطعة محلية ملحنة على أسلوبها في القصائد والأغاني الطويلة وتكفل الوفد المصري باحتضان جميع أطوار المسابقة. وقبل تاريخ المسابقة بأسبوعين أعلمنا بتراجع وزير الثقافة المصري الاستاذ يوسف السباعي عن احتضان المسابقة فاقنعت وزير الثقافة التونسي الاستاذ محمود المسعدي لقبول الاحتضان المذكور وفعلا تم ذلك حيث شاركت فتيات من سورية والجزائر والعراق والسودان وتونس وقد فازت فيه الفتاة السورية فاتن الحناوي بالجائزة الأولى وأحرزت على الجائزة الثانية الفتاة التونسية سناء الخصايري والجائزة الثالث كانت من نصيب الفتاة العراقية الأولى في أنية الأطلاع والثانية في أغنية أنا في انتظارك والثالثة في أغنية أنت فكراني وإلا نسياني من أغاني المرحومة السيدة أم كلثوم .

وقعت كارثة مؤلمة إثر هذا المهرجان حيث أن الفائزة الثالثة العراقية كانت مطلقة ومطلقها غصب من مشاركتها في حفل عمومي واعتبر ذلك مسا من كرامته رغم طلاقه لهذه الفتاة منذ سنوات وقام بتدريب ابنه منها البالغ من العمر 12 عاما على استعمال المسدس وقال له أن أمك أهانتك ولا بد أن تغسل عارك بقتلها بهذه المسدس وظن المطلق الغبي أنه سوف يتخلص من تهمة القتل فأحيل على المحاكم بتهمة التحريض على القتل واستعمال طفلا مرافقا لذلك وحكم على ابنه أن يكون قاتلا والمقتولة أمه بيديه وسوف يتجرع لغز الضمير طوال حياته وفي سنة 1978 اتفقنا جميعا على أن تكون هذه السنة سنة تاريخ الموسيقى العربية التكفل بإعداد التاريخ القديم من عهد الجاهلية وتكفل كل رئيس وفد بإعداد التاريخ القريب لبلاده وذلك في حدود القرنين التاسع عشر والعشرين وأخذت أتابع الإخوة الزملاء إلى أن تأكدت عدم الإعتماد عليه وكتبت ذلك التاريخ بنفسي معتمدا على بعض الكتب وعلى اتصالاتي الشخصية

لشيوخ الفن من كل قطر عربي الذين أطلعت كلا منهم على ما كتبتة عن بلاده فرأيت منهم الموافقة والتشجيع.

وفي سنة 1979 انعقد مؤتمر المجمع بمدينة طرابلس ولما سألت الإخوة الزملاء عن إنجازهم لما تعهدوا به، اعتذروا عن ذلك بكثرة شغلهم إلا الأستاذ حسن عريبي فقد أجاب بأن المبدأ في الجماهيرية لا يقبلون فيه قيام شخص بكتابة التاريخ بل يكتبه الشعب بأكمله فأجبتة بأن ذلك غير مقبول من جميع الوفود وعلى كل فليقدم تقريراً في كيفية ذلك وإلى الآن لم يصلنا هذا التقرير صادف أن عقد هذا المؤتمر بعيد ذهاب الرئيس المرحوم أنور السادات إلى إسرائيل فتزعم الوفد العراقي بمعيرة الوفدين الليبي والفلسطيني وقدموا جميعاً مطالباً للتصويت على طرد الفنانين المصريين من المجمع ونزع لقب الموسيقار العربي من الأستاذ محمد عبد الوهاب فأجبت بأن ذلك لن يتم ما دمت رئيساً للمجمع وسأواصل هذه الدورة ولا أترشح للدورة القادمة، وعند التصويت نفذت ما وعدت به فقام الوفد الفلسطيني باقتراح تعييني رئيساً فخرياً للمجمع مدى الحياة مكان المرحوم الأستاذ محمود أحمد الحفني فقبول هذا الاقتراح بالإجماع ولكنني اشترطت إزالة قمة "مدى الحياة" وانتخب بعدي الأستاذ حسن عريبي رئيساً للمجمع .